جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الخامس والأربعون /ج٢
تشرين الثاني /٢٠٢١

التّصوير الإستعاري في شعر بشار بن برد
(الاستعارة التصريحية والمكنية إنموذجاً)

م.د. عباس كاظم امنسف
المديرية العامة للإعداد والتدريب والتطوير التربوي
Abbaskm655@yahoo.com

الخلاصة

يهدف هذا البحث الى التّعرف على التّصوير الإستعاري في شعر بشار بن برد، وبوصف الاستعارة فنّاً بيانياً لهُ تأثيرهُ في التصوير، وتكاد الاستعارة تشكل أحد الأعمدة المهمة في أسلوب البيان ؛ لما تضيفه على التصوير من دلالة عميقة وتأثير في المعنى وأهمية في استجلاء القيمة الفنية.

ويعد الشاعر بشار بن برد من الشعراء الذين كان لهم دور مهم في الساحة الأدبية، ولاسيما في العصر العباسي، لما امتاز به من شعر حَملَ أغراضاً متعددة جعلت منهُ شاعراً مهماً لا يستطيع الباحثون والنقاد تجاهل شعره، ولذلك حاولنا في هذا البحث التعرف على تصويره الاستعاري.

الكلمات المفتاحية: الشعر ، التصوير، الصورة ، الاستعارة ، بشار بن برد

Allegorical photography in the Poetry of Baghdad bin Bard

D. Abbas Kazem Amnsaf
General Directorate of Preparation, Training and Educational Development

Abstract

This research aims to identify Allegorical photography in the poetry of Bashar Bin Bard, by describing the metaphor a graphic art has an effect on photography. The metaphor is almost one of the important pillars in the style of the statement because of the deep significance, the effect on the meaning and importance in clarifying the artistic value. The poet Bashar bin Bard is considered one of the poets who has important role in the literary scene especially in the Abbasid era, because of his distinguished poetry that carried multiple purpose which made him an important poet that scholars and critics can not ignore his poetry, therefore, we tried in his research to identify its Allegorical portrayal.

Key words: Poetry، Photo graphy ، Picture، Metaphor، Bashar Bin Burd

المقدمة

بشار بن برد شاعر عاش بين عصرين. الأُموي والعباسي، ومن أهم الشعراء الذين اتصف شعرهم ببراعة التصوير ودقته، وقد نال هذا الشاعر البصير اهتماماً كبيراً لدى النقاد والباحثين القدامى والمحدثين، بوصفه من أبرز الشعراء المحدثين واكثرهم تفنناً في أغراض الشعر فضلاً عن غزارة شعره. ولذلك حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على موضوعة فنية مهمة في شعره، تلك هي التي تتعلق بالتصوير الاستعاري لما يمثله ذلك التصوير من قيمة بلاغية تكشف عن براعته ودقة تصويره.

وتكوّن البحث من مطلبين وخاتمة، فقد تناولنا في بدايته نسبه ومولده وأهله ووفاته وثقافته لما لهذه الجوانب من أثر كبير في شاعريته، ولم نطل الوقوف عليها كثيراً ؛ لكثرة الدراسات التي فصلت القول فيها وفي غيرها من جوانب حياته.

ثم تحدثنا بعد ذلك عن الاستعارة وما لها من تأثير في التصوير الاستعاري الذي قسمناه على مطلبين، ففي المطلب الأول بحثنا في الاستعارة التصريحية وتصويرها في شعر بشار بن برد بدراسة تطبيقية، اذ اننا وجدنا التصوير بالاستعارة التصريحية أقل من التصوير بالاستعارة المكنية في شعر بشار بن برد، وحاولنا أنْ النوعين من الاستعارات لكي نُلملمَ موضوع بحثنا، ثم أَجملنا في خاتمة البحث اهم النتائج.

نسبه ومولده وأهله ووفاته :-

هو بشار بن برد بن يرجوخ أعجمي الأصل بإتفاق الرواة . (الاصفهاني ،١٩٦٣،ص١٣٥)، ويرجوخ أقرب أجداده من طخارستان من سبي المهلب بن ابي صفرة حين كان والياً على خراسان، إذ إن أباهُ كان من عبيد أمرأة المهلب، خيرة القشيرية زوج المهلب، وكان مقيماً لها في ضيعتها في البصرة فوَهبت برداً بعد ان زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشاراً فأعتقته العقيلية، فنشأ في ولاء بني عقيل.(المصدر نفسه،ص١٣٧)

ولد بشار في حدود سنة ست وتسعين ونشأ بالبصرة، واشتهر شعره فيها، وسكن حران مدة، وتنقل في البلاد مدة ثم رجع الى البصرة . (ابن عاشور،١٩٧٦،ص ١٦)

وقد قدم بشار الى بغداد وسكن فيها الى ان توفي فيها على الأرجح مقتولاً سنة ١٦٨هـ وقيل ١٦٩هـ على أثر وشاية، وقد تجاوز السبعين عاماً. (إبراهيم ،١٨١،ص١٩٦٦)

ثقافتهُ :-

يعد بشار بن برد من الشعراء الذين عاصروا الدولتين الأُموية والعباسية لمدة تزيد على الثلاثين عاماً (وشهد نقلة الخلافة بين الدولة الأموية الى الدولة العباسية، وعاش فترة طويلة من العصر الذهبي للعباسيين).(نافع،١٩٨٣،ص٣٤)

ونظراً لما يتمتع به بشار بن برد (من ذكاء وَحِدّة قريحته ورهافة حسُّه كانت عوامل أساسية في بلوغه القمة في تصويره الشعري) .(المصدر نفسه،ص٣٦)

ويبدو ان ثقافة بشار كانت خليطاً من ثقافات متعددة بحكم حياته التي عاشها في العصر الأمُوي والعصر العباسي فيما بعد ((واذا كانت البداوة قد صقلت موهبته واعطت صوره لوناً خاصاً فيه خشونة وفيه صلابة وفيه سهولة لا تعرف التعقيد ولا المواربة، فان الحضارة التي انتقل اليها في البصرة تركت أيضاً أثراً بعيداً في شعره)) .(نافع،١٩٨٣،ص٣٨)

ثم حدث تطور كبير في حياته عندما انتقل الى بغداد واستقر فيها وأطلع على ألوان الثقافة المختلفة في عصره لذلك فقد ((رققت حسه وفتحت له أبواباً من المعاني والصور بكل ما في الحضارة من ترف وشعور رقيق حاد)) .(ضيف،١٩٦٦،ص٢١٧)

وكان بشار بن برد متمكناً من اللغة العربية وبارعاً فيها ((ولقد كان قوي الحافظة مطلعاً على شعر العرب ومن بعدهم)). .(نافع،١٩٨٣،ص٤٧)

ومما يحسب لبشار ((تفننه في الأغراض الشعرية فقد سلك فيه طرائق ابتكرها، منها افتتاح الهجاء بالنسيب، وقد كان العرب يفتتحون المديح بالنسيب مثل قصائد زهير والأعشى والنابغة وعلقمة والفحل)) .(المصدر نفسه،ص ٥٧)

وقد نظم بشار في أغراض الشعر كلها وبرع فيها فإنَّ ((تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة كثير في شعر بشار)). (المصدر نفسه،ص٥٧)

من هذا كله تتجلى براعة بشار وموهبته في الشعر والتي جعلته يتبوأ مكانة مرموقة بين شعراء عصره ويشغل حيزاً كبيراً من اهتمام النقاد والباحثين، فإن ((ذكاء بشار وحدّة قريحته ورهافة حسه كانت عوامل أساسية في بلوغه القمة في تصويره الشعري، وكانت كفيلة بأن تجعله يستوعب كل ما يدور في عصره وأن يتمثله، وليس هذا فقط، بل أن تختزن ذاكرته شعر الاقدمين وصورهم وأخيلتهم)) (نافع،١٩٨٣،ص٣٦)

ويعد بشار بن برد من أغزر شعراء عصره شعراً وأعلاهم مكانةً وروي عنه أنّ له اثنتي عشر ألف قصيدة)). (الاصفهاني ،١٩٦٣،ص١٤٤)

اما ابن النديم فيذكر في الفهرست ((إنّه ليس له ديوان، ولم يجتمع شعره لاحد ولا احتوى عليه ديوان، وقد رأيت منه نحو ألف ورقة متقطع، وقد اختار شعره جماعة)). (رضا،١٩٧١،ص١٨١)

وما أوردته من معلومات عن بشار بن برد وحياته وثقافته ومكانته هو لمجرد الاطلاع، والذي يهمنا من هذا كله ان ندرس التصوير الاستعاري في شعره؛ لنقف على براعته في التصوير وما اشتملت عليه صوره من بلاغة وتجسيد.

التصوير الاستعاري

تنهض الاستعارة بدورها في التصوير بوصفها أداة مهمة من أدوات التعبير الفني ووسيلة بلاغية ذات قيمة كبيرة تؤدي وظيفتها في إبراز الملامح الفنية في النص الشعري لما فيها من أثر نفسي فاعل وخيال خصب، وتجسيد للعاطفة، ((ومن هنا كانت الاستعارة وجهاً من وجوه الجمال في الصياغة والتعبير)) .(عبد الرحمن،١٩٧٧،ص٣٨٣)

ويتضح إثرها في الدلالة وعمق المعنى وما تحدثه لدى المتلقي من ردة فعل وهو يتابع صورها عبر بوابة الألفاظ والتراكيب، ولهذا فقد حظيت الاستعارة باهتمام البلاغيين والنقاد العرب القدامى والمحدثين، إذ أفردوا لها مباحث وخصوها بدراسات في كتبهم، متحدثين عن قيمتها في النص الأدبي، وقد خصص ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، الباب الأول لها في كتابه (البديع): إذ إنه أورد لها أمثله من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي .(ابن المعتز،١٩٨٢،ص٢)

ولمزيد من المعلومات عن العلماء العرب القدامى الذين فصلوا القول فيها وتحدثوا عنها، تراجع المصادر في الهامش ادناه.

أ- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦هـ)، ص٤١، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، بيروت، دار القلم، لا. ت

ب- الموازنة بين أبي تمام والبحتري. الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بِشر (ت ٣٧٠ هـ)، ص: ٢٣٤، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العلمية، لا. ت

ت- النكت في إعجاز القرآن، الرُماني: أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٦ هـ)، ص٨٥، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زعلول سلام، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨

ث: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)، ص ٢٩٥، تحقيق مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١

ج – دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ص ٥٨، تحقيق وتعليق محمد رشيد رضا، ط٦، القاهرة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٠

ح – أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ص٢٩ وما بعدها، تحقيق هـ، ريتر، إستانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤

وفي دراستنا للتصوير الاستعاري في شعر بشار بن برد سنحاول ان نلقي الضوء على تصويراته الاستعارية؛ لنقف على نوعين منها وهما الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية، وإنْ كانت التصريحية أقلَّ من المكنية، وهذا ما نراه في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول

الاستعارة التصريحية

وكما نعلم أن الاستعارة التصريحية هي نوع من أنواع الاستعارة يصرح بها بلفظ المشبه به الذي يسمى المستعار منه من دون ذكر المشبه والذي يسمى ((المستعار له)) وعند دراستنا للاستعارة التصريحية في شعر بشار بن برد وجدناها قليلة وكما ذكرنْا سابقاً بأنها اقل من الاستعارة المكنية، ويبدو أن هذه الملحوظة نجدها لدى شعراء كثيرين ومن مختلف العصور؛ ذلك لأن الشاعر يعتمد في تصويراته على إشغال الفكر واشراك الخيال من حيث التجسيم والتشخيص والتجسيد والتي تكون اقرب الى الاستعارة المكنية منه الى الاستعارة التصريحية.

وفي مدح بشار لأحد ولاة البصرة (عقبة بن مسلم) يقول:

أسدٌ يقضمُ الرَّجال وإنْ شئت فغيثٌ أجشُ ثرُ السماءِ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ١٣٨)

والاستعارة التصريحية واضحةً جداً بتشبيهه لهذا الرجل بالأسد من حيث الشجاعة، والغيث من حيث الكرم، وهي استعارات عرفها الشعراء السابقون وذكروها كثيراً ولم يأت فيها بجديد.

وقولهُ:

حنّ قلبي الى غزالٍ ربيبٍ فاعتراني لذاك كالتصويب

(المصدر نفسه،ص٢٩١)

وهي استعارة تقليدية لا ابتكار فيها أو تجديد عندما شبه فتاة بالغزال على سبيل الاستعارية التصريحية، وهو في البيت اللاحق ما يزال يُكرر (الغزال والربيب).

كيف صبري عن الغزال ولك ألـ سق شفاء من الغزال الربيب

ويستمر بشار بتشبيهاته القائمة على الاستعارة التصريحية وأسماء الغزال من ذلك قولهُ :

ريم تعرّض كالبرود لرأيهِ فصَبا ووكَّلَهُ الصَبّا بطِلابهِ

وكما نلاحظ ان الجناس قد شارك في التصوير الاستعاري عبر كلمتي ((صَبا وصِبا)) فأضفى على تصويره مسحه بديعية جميلة.

ومن استعاراته الجميلة قوله:-

وأرعَنَ يغشى الشمسَ لونُ حديدهِ وتَخلسُ أبصارُ الكمُاةِ كتائبُهْ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ٣٣٦)

إذ شبّه الجيش الكثير العدد بالجبل من حيث القوة والعظمة وهو تصوير جميل، فاختيار الالفاظ كان موفقاً عند الشاعر، ومع أن ((وسيلة الفنان الأديب الى التأثير الفني والنفسي ليس اللفظ وحده، وليس المعنى وحده، وإنما وسيلته الى هذا هي الصورة التي ترجع الى اختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها الملائمة لها في الجمل)). (أبو حمدي، ١٩٨٣،ص٢٣١)

وفي سياق تصويراته الاستعارية يقدم لنا بشار هذا التصوير معتمداً بذلك على الاستفهام؛ ليكمل رسم صوره:-

فقلت لنفسي: الشمسُ جلّتْ لناظرِ أَمَ اِلبدُر يُجلى في قِناعِ فتاةِ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ٣٣)

وكأن الشاعر يستفهم من نفسه وهو يرى هذه الفتاة الجميلة، وهي تأسر الناظرين بجمالها، أهي شمس تجلت أم هي البدر تام الطلعة، فالشاعر وإن اعتمد على اللغة والألفاظ وعلى تصوير معروف لدى الشعراء إلاّ أن جمال التصوير ينبع من عمق الإحساس وشعورهِ بذلك (فالتعبير الاستعاري ليس مهارة لغوية، وإنما هو قيم فنيه وشعورية) .(حسن،١٩٤٩،ص٢٦٨)

وما ينفك الشاعر يتخذ من البدر وسيلة لصوره الاستعارية، وهو بهذا لم يخرج عما عرفه او تعارف عليه الشعراء السابقون من اتخاذ البدر او الشمس، وسيلة من وسائل التصوير الاستعاري التقليدي، كمثل قوله في فتاة:

فبتُّ بيدر يملأُ العينَ نورهُ هضيمِ الحشا في الزعفران مُضرَّجِ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ٦٠)

والشاعر وإن كانت صوره تقليدية ومعروفة إلاّ أن ما يحسب له هو اعتماده في التصوير على ((ظاهرة الحركة، فصوره على اختلافها تتميز بهذه الظاهرة، فهو يكاد يجعل المُصَّور يتحرك أمام أعيننا)).(نافع،١٩٨٣،ص٢٩٣):

ويتواصل الشاعر معنا في اعتماده على صوره الاستعارية المعروفة من ذلك قوله :-

تَسدُّ عيناً وتلقى الشمسَ غيبتُها كأنما خُلِقَتْ من ضوء مصباحِ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ١٠٠)

وهو في تصويره هذا اعتمد على الاستعارة التصريحية في الشطر الأول من البيت، والتشبيه بالإداة في الشطر الثاني، وهو تعبير بياني لا يخلو من الجد والاقناع (ومن هنا نلاحظ ان التشكيل البلاغي في الصورة لا يحسن إلا اذا تطلبه الموقف، وارتبط بشعور صاحبه، ووقع من العقل موقعاً جيداً) .(أبو حمدي ،١٩٨٣،ص٢٣٤)

ومن تصويراته الاستعارية قوله في فتاة:

شربتُ بكأسِ العاشقين وزارني هلالٌ عليه مَجْسدُ وعقودُ.

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص ١٢٠)

فقد شبه الفتاة بالهلال على سبيل الاستعارة التصريحية، وهنا نجد ان بشار ابتعد في هذا البيت عن التشبيه بالقمر تام الطلعة وشبه بالهلال، وكما وردت في أبياتٍ سابقة للشاعر.

وله تصوير جميل تكاد صورتهُ تنطبعُ في الأذهان؛ لِما فيها من ترابط باستعمالهِ (قصباً) وأثرها في مجمل صورتهِ على سبيل الاستعارة التصريحية، إذ يقول:-

يحسدْنَّ منها قصباً مالئاً للقلبِ والخلخالِ والمعضد

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص١٢٨)

ومن تصويراته الاستعارية التي تأتلف فيها الاستعارة التصريحية مع التشبيه لتمنح الصورة جمالاً ورونقاً، قوله :-

ضَحِكتْ لي عن بارد الطعم عذبٍ مُستنيرٍ كالكوكب الوقادِ

(المصدر نفسه،١٣٠)

إنّهُ حقاً تصوير جميل وإن كان متداولاً، فجمال الفم وما فيه من أسنان يمنح التصوير الجمال والبعد الفني، ويُعد بشار ((أحد الشعراء القلائل الذين استطاعوا أن يفهموا قيمة الصورة في تأدية الانفعال ونقل الاحساس)) .(نافع،١٩٨٣،ص٢٨٧)

وللشاعر بشار تصوير استعاري جميل في قوله:

غاب القذى فشربنا صفو ليلتنا حين نلهوا ونخشى الواحد الصمدا

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص١٤٢)

فقد استعار الشاعر لفظة (القذى) وهو الدقيق من الغبار أو القش الذي يصيب العين ويقع في الماء أو الخمر فيصفى بالمصفاة، استعاره لما يكدر صفو اللقاء من رقيب وحاسد على سبيل الاستعارة التصريحية، وما يؤكد ذلك قوله ((غاب)) ثم شبه الليلة بالخمر عن طريق الاستعارة المكنية، ورمز للمشبه به بملازمه وهو الشرب .

وهكذا هو التصوير (إذ التجربة الشعورية كلها ما هي إلاّ صورة كبيرة ذات أجزاء، هي بدورها صور جزئية) .(هلال،١٩٧١،ص٤٤٣)

المطلب لثاني

الاستعارة المكنية

وعندما نتحدث عن الاستعارة المكنية وما تشمل عليه من تصوير، فإننا نتناول فناً بيانياً لا بَلْ أسلوباً بلاغياً على مستوى كبير من القيمة الفنية؛ ذلك أن هذا النوع من الاستعارات على جانب من الأهمية، ولاسيما في الشعر لما يتضمنه من خيال وعاطفة وتجسيد وتشخيص يمنح التصوير جمالاً وعمقاً في الدلالة ودقة في التعبير. من هنا تأتي قيمة الاستعارة وأهميتها؛ لأنها (مجال فسيح للابتكار والابداع وميدان رحب لتسابق المجيدين من فرسان البيان).(الخولي،١٩٦٢،ص١٣٠)

وفي دراستنا للاستعارة المكنية في شعر بشار بن برد نجد غلبة هذا النوع لديه على الاستعارة التصريحية وكما أشرنا سابقاً.

ومن تصويراته الاستعارية قوله:

إذا نبح العدى فَلهُن ودي وتربيتي وللكلب العواءُ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص١٢٩)

وكما نعلم فإن صفة النباح يختص بها الكلب؛ وهنا الشاعر استعارها لأعدائه ليضفي على تصويره دلالةً وعمقاً في التأثير واستهجانا للعدى على سبيل الاستعارة المكنية.

وله تصوير جميل اذ يقول:

يموت الهوى حتى كأن لم يكن هوىً وليس لما استبقيت منك بقاءُ

(المصدر نفسه،ص١٥٢)

فالهوى إذن يموت، وهو تصوير استعاري اعتمد فيه على الاستعارة المكنية، فقد جسد صفة الموت وأَضفاها على الهوى مما أكسب تصويره جمالاً وتأثيراً ذلك أن ((الشاعر هو الشخص الذي يملك قوة خيال خصب وتنوع صوره وقدرته على تخيل أجواء وأشياء)).(القصاب،١٩٧٩،ص١٢٤)

ومن لطائف تصويرات بشار قوله:-

تُزلُّ القوافي عن لساني كأنّها حُمات الأفاعي رِيقُهنَّ قضاءُ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص١٥٤)

وهنا نجد ان الشاعر قد وظّف الاستعارة المكنية والتشبيه ليجعل من تصويره ذا قيمة فنية جميلة ومؤثرة، فالزلل قد جعله تجسيداً للقوافي ثم شبههُ بما تملكهُ الافاعي من سم قاتل ومُميت.

وحين يمدح الشاعر بشار فإنَّ لمدحه تصوراً مؤثراً، اذ يقول:

لو جَلَبَ الأرضَ بأخلافها دَرَّتْ لك الحرُب دماً فاحْلُبِ

(المصدر نفسه،ص١٨٠)

إذ إنه شبه الحرب بالبقرة الحلوب وكذلك هي الحرب اذ تذر الدم، فقد استوى تصويره الاستعاري مع الكناية ليبعث التأثير عن طريق كثرة إراقه الدماء في الحرب وما تخلفه من قتلى تراق دماؤهم.

وعندما يكون مشتاقاً فإن لتصويره معنى مؤثراً:

إذا شئتَ هاج الشوقُ واقتادهُ الهوى إليكِ من الريحِ الجَنوبِ هُبوبُ

(المصدر نفسه،ص٢٠٥)

فيا للهوى سلطانٍ مؤثرٍ على القلب وما يضمه من شوق يجعله يهيجُ فيقتاده الهوى، يساعده في ذلك هبوب الريح الجنوب، انها تصوير استعاري تداخلت فيه اللغة بما تمتلكه من الفاظ مع المعنى مما يُثبت أنّ للاستعارة (علاقة منبثقة داخل البناء اللغوي كما ان لها وظيفة حيوية بحسبانها تجسيد لملكة الخيال) .(عيد،ص١٢٥٨)

وللحب تصوير وطريق عند الشاعر بشار اذ يقول:

وطفلُ الحبِ أضناني فويلٌ لي إذا شابا

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص٢٣٠)

فقد استعار لفظتي (طفل) و (شابا) للحب وأضفى عليهما هذا التجسيد الجميل على سبيل المكنية؛ ليؤكد أنَّ اول الحب يضني ولكن عندما يشتد عوده ويقوى فإن فعله في القلب يكون أكثر تأثيراً واشد.

ومن تصويراته الاستعارية قوله في أحدهم:

تغدوا له العَبَراتُ عند غُدوَّه وتؤوبه الزفراتُ عند إيابهِ

(المصدر نفسه،ص٢٣٠)

فقد بنى الشاعر تصويره معتمداً على الاستعارة المكنية مشخصاً العبرات والزفرات وذلك بأن جعل له غدواً وإياباً، وهو تصوير جميل وان كان لا يتعدى حدود الشعر العربي القديم، وهذا يعني أن ((الطابع القديم يظهر في شعره لا من ناحية اللفظ والأسلوب فحسب، بل في تتبعه لصور القدماء ونهجهم في مدائحهم وفخرهم وغزلهم، وفي التخطيط العام لقصيدته من حيث الاستهلال والانتقال وحسن التخلص، ويظهر قدرة كبيرة في استيعاب هذا التراث الضخم والقدرة على الإتيان بمثله)).(نافع،١٩٨٣،ص١٠٧)

ولسهام القوس في الصدر تصوير جميل اذ يقول:

إذا رُزمتْ أنّتْ وأنَّ لها الصدى أنين المريض للمريض يُجاوبُهْ

كأنَّ الغنى آلـى يميناً غليظـةَ عليه خلا ما قرَّبتْ لا يُقـارِبُه

وهو بهذا التصوير الجميل اعتمد على الاستعارة المكنية والتشبيه ليجعل من تصويره أكثر ملاءمة للمناسبة، فالسهام عندما ترزم يخرج منها صوت أنين كأنين المريض للمريض، وإن رزقه محدد ومقترن بما تقربه اليه قوسه من الصيد، وهو بهذا أراد أنْ يشير الى ان الغنى لا يقترب منه الا بمقدار ما يحصل عليه من الصيد.

وفي تصوير آخر لممدوحهِ يقول:

وسام لمروان ومن دونه الشجا وهول كلج البحر جاشت غواربه

أَحلتْ بـه أم المـنايا بـناتـِها بأِسـيافـنا إنّا ردى من تحاربه

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص٣٣٢-٣٣٤)

وهو بهذا التصوير الاستعاري المبني على ذكر صفات ممدوحه أراد ان يرفع من مكانته متخذاً من الاستعارة المكنية سبيلاً الى ذلك، إذ جعل المنايا أمُّاً وجعل لها بنات، وهي ميتات متعددة وليست ميتةً واحدةً او متشابهة.

ويستكمل الشاعر تصويره بقوله :

بِضَربٍ يذوقُ الموتَ من ذاقَ طعمَهُ وتُدركُ من نجّى الفرارُ مثالبَهْ

كأن مـثارَ النقع فـوق رؤوسهـم وأسيافنا ليلٌ تهـاوى كواكبهْ

(المصدر نفسه،ص٣٣٥)

فقد تآزر أسلوبا الاستعارة والتشبيه على رسم هذا التصوير لممدوحهِ والفخر به، إذ اعتمد بشار (على اللفظ اعتماداً كبيراً فحرص على انتقاء الالفاظ الموحية بالقوة، فجاءت الموسيقى اللفظية هنا قوية عنيفة تتماشى مع ما هو بصدده). (نافع،١٩٨٣،ص١٣٨)

وعندما يعاتب من يهواها فإن عتابه يتخذ صورة لا تخلو من المرارة والألم إذ يقول:

لم تــكوني لتصلحي لـــــوداد لــكريم كــَحُلةّ العــنكبوتِ
قد شبعنا من وِدَكِ ألمرَّ طعماً وروينا إن كنت منا رَويتِ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص٤)

فهو تصوير قائم على التشبيه والكناية والاستعارة المكنية، تآزرت هذه الفنون لتخرج لنا هذا التصوير المؤثر، فحلة العنكبوت لا تدوم أو تبقى لأنها سريعة الانفكاك وشبّه الود بشيء مر الطعم قد مله أو شبع منه لكثرة ما لَقِيَهُ منها من صدود وتعب وحرمان ونحن هنا نجد ان البناء الفني للقصيدة اعتمد على ألفاظ مناسبة وملائمة للغة والأسلوب مما اكسب التصوير جمالاً وتأثيراً في النفس لأن ((لغة القصيدة... هي الطاقة المبدعة التي تخلق الصور أو مجموعة الصور في تعبيرها عن أي مشهد أو تجربة أو حالة شعورية يراها أو يحس بها الشاعر بوعي أو بلا وعي)) .(غزوان،١٩٨٥،ص٢٠٣)

ومن تصويراته الاستعارية الجميلة قوله:

نسجت لها القريض بماء ودَي لتلسَبهُ وتشرب ما سَقَيتُ

(ابن عاشور،١٩٧٦،ص٦)

وهو تصوير جميل بني على الاستعارة المكنية، إذ شبه الشعر بقماش ينسبح والود بأن جعل له ماءً، على طريقة الاستعمال العربي بقولهم (ماء الوجه اللحياء)

وحين يصف الشاعر حالته فله تصوير مؤثر في ذلك إذ يقول:

ويا كبداً قد أنضج الشوقُ نصفَها ونصفُ على نار الصبابةُ يْنضَجُ

(المصدر نفسه،ص٧٠)

فالشوق نار أنضجت كبده كما انضجت نار الصبابة نصفه الآخر، فقد استعار النضج للشوق والنار للصبابة على سبيل الاستعارة المكنية ليؤكد لنا مدى حبه وألمه في هذا التصوير.

وللشاعر تصوير يبث فيه شكواه بقوله:

تثاقل ليلي فما أبَرحُ ونامَ الصباحُ فما أصبح
وكنتُ أمرءاً بالصَّبا مولعاً وباللهوِ عندي له مَفَتحُ

(المصدر نفسه،ص٧٩)

إنه تصويري استعاري اعتمد فيه بشار على الاستعارة المكنية وبث فيه شكواه من طول الليل وثقله، ونام فيه الصباح بينما الشاعر يسهر ويعاني، وبالطول ليله ومعاناته، وإن كان هذا التصوير نجده عند الشاعر امرئ القيس في معلقته إلا أن تصوير بشار لا يخلو من الجمال والتأثير.

(إبراهيم،١٩٥٨،ص١٨)

الخاتمة

بتوفيق من الله سبحانه وتعالى فلقد أتممنا هذا البحث عن التصوير الاستعاري في شعر بشار بن برد، اذ وجدنا أن الشاعر امتاز بدقة التصوير وبراعة في توظيف الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية في هذا التصوير لما يمتلكه من مَلكة وخيال خصب وشاعرية فذة مع الأخذ بنظر الاعتبار ان التصوير الذي يعتمد على الاستعارة المكنية نجده اكثر عند بشار بن برد من التصوير بالاستعارة التصريحية، وهي مسألة طبيعية تكاد تكون هي الصفة الغالبة لدى الشعراء القدامى والمحدثين لما للاستعارة المكنية قدرة كبيرة على إشغال الخيال والتجسيد والتشخيص.

المصادر

- إتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، د. منصور عبد الرحمن، الإنجلو المصرية، ١٩٧٧م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، وما بعدها، تحقيق هـ، ريتر، إستانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤
- الأصول الفنية للأديب، د. عبد الحميد حسن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٩
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مصور عن طبعة دار الكتب، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م
- البديع، عبد الله بن المعتز، نشر وتعليق: اغناطيوس كراتشوفسكي، ط٣، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٢.
- تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٦م.
- تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م، ١٣٨٦م.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق وتعليق محمد رشيد رضا، ط٦، القاهرة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٠
- ديوان أمرئ القيسي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م
- ديوان بشار بن برد جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج ١٦/١، نشر المكتبة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ١٩٧٦
- الشريف الرضي، دراسات في ذاكراه الالفية، من دراسة بعنوان ((بتاء القصيدة عند الشريف الرضي))، د. عناد غزوان، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥
- الشعر بين الواقع والابداع، صبيح ناجي القصاب، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩
- صورة في تطور البيان العربي، كامل الخولي، ط١، القاهرة، دار الانوار، ١٩٦٢
- الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح صالح نافع، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٣م
- فصول البلاغة، د. محمد بركان أبو حمدي، عمان، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د. رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، لا. ت
- الفهرست، ابن النديم تحقيق رضا، نجد طبع طهران ص١٨١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: الحسين بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ)، شقيق مفيد قمحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشير (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العلمية، لات
- النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ط٤، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٩.

– النكت في اعجاز القرآن، الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٦ هـ)، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زعلول سلام، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨
– الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦هـ)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، بيروت، دار الظلم